دلالات أفانين خطاب إبليس لآدم (عليه السلام) في القرآن الكريم

الاستاذ المساعد الدكتور علاء عبد الأمير شهيد السنجري
alaaabdilameer@gmail.com
ليث حسين حسن
Laith.h.h93@gmail.com
جامعة الكوفة – كلية الاداب

Semantics of kinds The devil"s speech to Adam in the Holy Qur"an

A. Professor Dr. Alaa A. Shaheed
Researcher Laith H. Hassan
University of Kufa - College of Arts

الملخّص :

ينطلق هذا البحث من تحليل الخطابات التي أطلقها إبليس في سياق حديثه مع النبي آدم (عليه السلام) وأخرجه مما فيه ويهدف إلى تفكيك تراكيب الخطابات إلى العناصر المكوّنة لها لكشف أسرار هذه التعابير؛ فعلى الرغم من قلتها لكنها أجدت نفعا؛ فقد تميز هذا الخطاب بأنه كان من جنٍّ لبشر، لا كما الأنبياء الباقين؛ فإنه خطاب بشر لبشر، فهذه خصوصية أخرى.

الكلمات المفتاحية : الوسوسة، آدم، إبليس، المقاسمة، الإزلال، شجرة الخلد، هل، أخرجه مما فيه.

Abstract:

This research is based on analyzing the speeches that Satan launched in the context of his conversation with the Prophet Adam (PBUH) and directed it from it, and aims to dismantle the structures of speeches to the constituents of them to reveal the secrets of these expressions, despite the few said that they have found a benefit, it was characterized by this speech that it was From a jinn to human beings, not like the rest of the prophets, it is human speech to humans, this is another specificity.

key words:The Sousse ،Adam ،The devil ،Swear ،Slipping ،Eternity tree ،Do you ،Take it out of it ،Mites

المقدمة

انطلاقا من أن القرآن الكريم جاءت كلماته كلٌ بقصد، فقد لفت نظرنا أن خطابات إبليس لآدم (عليه السلام) الواردة في القرآن الكريم قليلة جدا، بعكس خطابات الأنبياء مع خصومهم التي تطول لتغطي نسبة كبيرة منه، ولم يحصل أن زلّ نبي - على الرغم من طول الحوارات المتبادلة بينهما - عمّا جاء فيه، واتبع مشورة خصومه، لكن إبليس استطاع ذلك على الرغم من قلة الخطابات الموجهة إلى النبي آدم (عليه السلام)، آخذين بالحسبان تحذير الله تعالى له من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها.

وثمّ خصوصية أخرى لهذا الخطاب هي أن جميع الرسل الذين وردت قصصهم في القرآن الكريم كان خصومهم بشرا، إلا النبي آدم فقد كان بدعا بينهم؛ إذ واجه إبليس، وهو من الجنّ، فقد كان خصما قويا، ذكيا، خبيثا، بارعا، استطاع – كما ورد في القران - أن يقنع النبي وزوجه بالأكل من الشجرة المقصودة بالنهي بالالتفاف على تحذير الله تعالى له.

وينطلق الباحثان من اللغة بوصفها أداة بناء الخطاب والنص، ومن الأسلوب والعلاقات المتبادلة بين أجزاء خطاب المضلين والكل الذي يكون خطاب المضلين، لكي يصبح معنى النص ودلالته واضحَين. وإن أسلوب تحليل الخطاب لا يقف عند حد البنية السطحية للنصوص، وإنما يتجاوزها إلى القراءة التأويلية للنص واستنطاق رموزه وإشاراته التي يحيل إليها النص، أو ما يعبر عنه بما لم يقله النص أو ما سكت عنه النص (دلالة المفهوم).

وعالجنا شواهدنا وحللناها إلى عناصرها الأولية بإطلاق مجموعة من الأسئلة ومحاولة الإجابة عليها، أسئلة عن نوعية المفردة واختيار القرآن لها من دون غيرها، ومقارنتها معها، واختيار صيغة صرفية معينة، مع ملاحظة نوعية الجملة والانزياحات التي تعتريها والموضوعات المستعملة في كيل تلك الدعاوى. وماذا استعمل فيها من تراكيب ؟ للوقوف على دلالات تلك الخطابات؛ لأن ما ينقله القرآن من تراكيب خطابه لآدم (عليه السلام) قليلة جدا، فجاء هذا البحث لتحليلها إلى عناصرها الأولية عبر توجيه سؤالات عن نوع المفردة والأداة، ونوع الجملة والأسلوب؛ لكي يتم فكّ أسرار تلك الخطابات؛ لذا كان استعماله دقيقا للمؤكدات كـ: (إنّ) واللام في خبرها، والقسم، وغيرها. كذلك

استعمل الاستفهام بـ (هل) من دون غيرها، وبيّنا سببه في البحث، واستعمل مفردة النصيحة، إضافة إلى أن هذه كانت عبر الوسوسة بطرق خفية توحي بالخبث والدهاء.

وجمعنا الشواهد من سور ثلاث، وهي: البقرة، والأعراف، وطه، على أسبقية ورودها في الترتيب القرآني، واشتقاق المصطلحات الأساس أو الأفانين من القرآن نفسه؛ إذ هي مصطلحات قرآنية؛ فالإزلال عن، والوسوسة لهما، والمقاسمة، والوسوسة إليه، وعدنا في التحليل وبيان الفروق والمقارنة بينها إلى كتب التفاسير، وبعض كتب اللغة والفروق. وقد التزمنا في البحث قراءة حفص عن عاصم، ولم نورد عن القراءات الأخرى شيئا واحدا قط؛ التزاما بالمنهج الذي وضعناه.

العمل في القرآن بحد ذاته يمثل صعوبة على الباحث؛ لأنه كتاب مقدس ينبغي التعامل مع شواهده بحذر كبير ولا ينبغي الخطأ فيه. زيادة على أن آراء المفسرين كثيرة ومتشعبة تصل حد التناقض أحيانا بسبب توجهاتهم الفكرية، فاختيار الرأي الأصوب بينها عملية معقدة تقتضي الجهد، إضافة إلى صعوبة أخرى وهي أنهم يُفرغون حمولتهم المعرفية في بدايات تفاسيرهم حين إعطاء رأي ما في مسألة ما، فإذا كان الشاهد في أواسط القرآن أو أواخره عليك العودة إلى البدايات لتتبع ذلك الشاهد أو القضية التي أنت بصددها.

ودراستنا هذه هي جهد باحثين، يرغبان في أن تكون زلاتهما قليلة، وجلّ من لا يخطئ ! فإن وفقنا في غرضنا، فذلك حسبنا، وهو فضل من الله تعالى وحده، والله ولي التوفيق. وإن أخفقنا فسبحان من له وحده الكمال، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب. وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

دلالات أفانين خطاب إبليس لآدم (عليه السلام) في القرآن الكريم

التزاما منّا بالمنهج العلمي الصارم الذي وضعناه لم نشأ أن نتطرق لموضوعات وآيات تخرج عن هذا السياق، إضافة إلى أهميته الكبيرة؛ إذ لا يمكن تجاوزه وإهمال مثل هذا الخطاب. وأول خطاب مضلل في القرآن الكريم من أول مضل في التاريخ جاء في سورة البقرة مع قصة رفضه السجود لله، وهو على لسان الشيطان - بتعبير القرآن- الذي يعني به إبليس في قصته مع آدم وحواء.

والتعبير السابق كان بالإجمال والاختصار، ثم بُسِط في سورة الأعراف في قول، وفي سورة طه في قول آخر مغاير له، وكان هذا الخطاب – الصادر عن إبليس لآدم - مسبوقا بتحذير من الباري عز وجل لآدم بعدم التقرب من الشجرة، وعدم الانجرار وراء أقاويل إبليس؛ فهو عدوّه.

ورد التعبير في هذا الخطاب بأربعة مفاهيم:

أولاً : الإزلال عن:

ورد هذا المفهوم في قوله تعالى :﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١)، ومعنى الإزلال عند المفسرين:

١- أزلّهما عنها بمعنى "نحّاهما من قولك: زِلتُ عن المكان إذا تنحيّت منه"(٢)، فيكون الفعل المعدّى بـ(عن) مضمنا معنى التنحية، وهذا ما أفادته التعدية بهذا الحرف.

٢- ربّما تكون أفعل بمعنى استفعل، وأزلّ بمعنى استزلّ، أي: استزلهما فأخرجهما، فهذا معنى حسن عند صاحب التبيان؛ لأن الشيطان اجتهد كثيرا في وقوعهم في الزلل حتى أخرجهم(٣).

٣- ويحتمل أن تكون بمعنى الإزالة، أي: أزالهما عنه، فهناك قراءة على هذا اللفظ(٤)، فيكون هنا مضمنا معنى الإزالة؛ بسبب حرف الجر (عن).

٤- أزلّ من زلّ بمعنى عثر "ويدل عليه قوله: فأخرجهما مما كانا فيه، فكما خروج الإنسان من الموضع الذي هو فيه انتقال منه إلى غيره كذلك عثاره وزلَله"(٥).

٥- وقيل: "أزلهما، أي: أذهبهما ويعضدها قراءة حمزة فـ(أزالهما)، وهما متقاربان في المعنى غير أن أزلّ "يقتضي عثرة مع الزوال"(٦).

والمعاني الخمسة التي ذكرها المفسرون تصب في شيء واحد هو أن آدم بسبب ما فعله هو نتيجةً لوسوسة الشيطان إليه أُخرج مما كان فيه من النعيم والدعة في العيش.

والضمير المؤنث في (عنها)، إما يعود على الجنة(٧)، و"يكون معنى مما كانا في هذه الحال من مقامهما الذي كانا فيه"(٨)، أو بتقدير مضاف، أي: محلها(٩)، "وتكون عن على ظاهرها والإزلال مجازا في الإخراج بكره، والمراد منه الهبوط من الجنة مكرهين كمن ينزل عن موقعه فيسقط"(١٠).

ومنهم من يقول: إنه عائد "إلى الشجرة؛ لأنها أقرب، وليتبين سبب الخروج، إذ لو لم يكن عائدا إلى الشجرة لخلت القصة عن ذكر سبب الخروج"(١١)، ويكون المعنى أزلهما إزلالا ناشئا عن الشجرة، أي: الأكل منها بتقدير مضاف دل عليه سابق وهو الآية الكريمة التي حذر الله تعالى آدم بها من الاقتراب من الشجرة [١٢] ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [١٣]، أو يكون المعنى" إزلّهما بوسيلة الشجرة أخرجهما من الجنة التي كانا فيها"(١٤)، و يكون بتجوّز(١٥).

فمن أراد الأصل قدّر مضافا محذوفا، ومن أراد السببية "أراد حاصل المعنى"(١٦)، وفي كل حال منهما، إما يعود الضمير إلى الشجرة أو الجنة.

ثانيا : الوسوسة لهما:

في قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾[١٧]، ففعل الوسوسة لازم لا يتعدى بنفسه مثل كثير من الأفعال الرباعية، وقد عُدّي هنا بحرف الجر اللام وفي سورة طه بـ(إلى) وسنبين الفرق بعد حين.

فوسوس لهما معناه: وسوس لأجلهما(١٨)، أي: أوهمهما النصيحة لهما في ذلك(١٩)، فغايته هذه، فقد فعل جهده ومجهوده في الوسوسة والخداع؛ لكي يجعلهما يأكلان من الشجرة المنهي عنها، وبهذا تبدو سوءاتهما، فيُبعدا من الجنة ويهبطا منها إلى رحلة الشقاء والعناء.

وترتب- كما تبين في الآية- على تلك الوسوسة إبداء عوراتهما بسبب اتباع كلام إبليس، واللام في ليبدي فيها قولان:

١- إنها لام العاقبة "لأن الشيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتيهما ولم يعلم أنهما إذا أكلا من الشجرة بدت عوراتهما إنما كان قصده أن يحملهما على المعصية فقط"(٢٠)

٢- إنها لام التعليل لتبين الغرض من الوسوسة وهو إبداء السوءات على عكس المعنى الأول، والمعنى أن غرضه من الوسوسة إلى آدم زوال حرمته وذهاب منصبه ذلك

اذا جعل بدو السوءة كناية عن سقوط الحرمة وزوال الجاه أو أنه علم بطريقة ما أنه إذا اكل من الشجرة بدت عورته وذلك يدل على سقوط الحرمة فكان هذا غرضه(٢١) الرئيس من عملية الوسوسة.

فالمعنى الأول يقتضي عدم معرفة إبليس أن إبداء السوءات يؤدي بهما إلى الخروج من الجنة، وهذا لا يوافق الطريقة التي حبك بها ابليس خطابه لإقناع آدم وحواء أن يأكلا من تلك الشجرة، فلولا علمه بذلك لم يبذل أي جهد في الوسوسة. والمعنى الثاني يقتضي معرفته بذلك ويكون الغرض الرئيس من الامر هو إبداء السوءات، وكأن الأمر محور الإضلال يدور حول قضية الإبداء تلك، فالأكل من الشجرة يسقط ما كان خافيا من عوراتهم وإذا ظهرت أدّى ذلك إلى خروجهما مما كانا فيه، وجهد إبليس منصب إلى تلك القضية.

والجزء الثاني من الآية ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ فيه أمور:

١- الواو في بدايته(وقال) إذ عطف هذه الجملة على ما قبلها ودل ذلك على أن الخطاب كان غير الأول ولو كان نفسه لكان حذف حرف العطف وجعلها مبيِّنة لها او بدل منها(٢٢)، فقد وسوس لهما وسوسة غير الأولى، أو أن هناك محذوف يُفهم من الكلام الذي قبله ف"معنى الكلام أن إبليس قال لهما في الوسوسة إلّا أن تكونا ملكين"(٢٣).

٢- استعمال أداة النفي(ما) مع الفعل الماضي لما فيها من توكيد لا تستطيع الأدوات الاخريات توصيله، فقوّى فيه خطابه.

٣- التركيب (إلاّ أن تكونا ملكين) وفي توجيه معناه أقوال:

أ- "إن فيه حذفا وتقديره: إلاّ أن تكونا ملكين، ومعناه: لئلا تكونا ملكين"(٢٤)، فهنالك حرف نفي (لا) محذوف ولذا يكون المعنى أن إبليس أوهمهما بتمكنهما أن يصيرا ملكين إذا أكلا من الشجرة(٢٥)، أي: "تغيرت صورتهما إلى صورة الملك وأن الله تعالى قد حكم بذلك وبأن لا تبيد حياتهما إذا أكلا منها"(٢٦).

ب- المعنى الثاني "إلّا كراهة أن تكونا ملكين"(٢٧)،" فحذف المضاف فهو في موضع

نصب بأنه مفعول له"(٢٨) فـ"كونهما ملكين أو خالدين هو علة النهي، أي: كونهما ملكين هو باعث النهي باعتبار نفي حصوله لا باعتبار حصوله"(٢٩).

ج- ونقل الطبرسي رأيا ومعنى جديدا في هذه المسألة عن الشريف المرتضى (٣٧٢هـ) في احتمال أن يكون المراد من الآية " أنه أوهمهما أن المنهي عن تناول الشجرة للملائكة خاصة و للخالدين دونهما فيكون كما يقول أحدنا لغيره: ما نهيت عن كذا إلا أن تكون فلانا وإنما يريد أن المنهي إنما هو فلان وذلك دونك وهذا المعنى أوكد في الشبه واللبس عليهما"(٣٠).

"فإن قيل كيف يموه عليهما أن الاكل من الشجرة يوجب الانقلاب من صورة البشرية إلى صورة الملائكة أو يوجب الخلود في الجنة؟ ! قلنا: عن ذلك جوابان: احدهما: أنه أوهم أن ذلك في حكم الله في كل من أكل من تلك الشجرة. الثاني : أنه أراد إلا أن تكونا بمنزلة الملائكة في علو المنزلة"(٣١).

٤- العطف بـ (أو) وربما يكون لها معنيان:

أ- الترغيب في مجموع الأمرين؛ لأنه أدخل في الترغيب" فمعنى الكلام أن الآكل من هذه الشجرة يكون ملكا وخالدا"(٣٢) كما جمع بينهما في سورة طه وهذا دليل يسوقونه على الجمع.

ب- "هو على ظاهره على طريقة التخيير"(٣٣)، أي: إما لهذا الأمر أو لذاك وبذا يكون قد حصر تفكيره في أحد هذين السببين لتعليل عدم الأكل.

والخلاصة أن إبليس من ما تبين من الآيات أنه بمكره ودهائه نقل اهتمام آدم وزوجه من القضية الأساس إلى قضية أعمق من أجل إيقاعهما في المحظور، فقد لوى عنق خطاب التحذير عن الأكل من الشجرة إلى موضوع آخر هو المنع وسبب المنع حتى أذهب قضية الشجرة وأنسى آدم فقد قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾(٣٤)، فأوقعهما في شباكه.

فإبعاد قضية الأكل وصرف النظر إلى علة المنع جعل القضية الأولى شبه متحققة، وأدخل معاني الخلود والملائكية لتأكيد ذلك. ومن ثَمّ إذا كانت أو للتخيير والترديد فإنه صرفه إلى أن يختار أحد شيئين إبعادا له عن مسألة الأكل - والله أعلم -.

ثالثاً : المقاسمة:

استُعمل بعد خطاب النهي مفهوم آخر وخطاب آخر لترسيخ التضليل المسلط من إبليس على آدم واستعمال وسيلة أخرى بعد أن ملأ رأسه بالشكوك ليضرب ضربته الأخيرة بالقسم قال تعالى:﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ (٣٥)، وربما يكون هذا أول قسم بالله يسمعه آدم في حياته فنتيجته كانت حتمية.

واللافت للنظر استعمال القرآن لصيغة المفاعلة في القسم على الرغم من أنه صدر من إبليس وحده إذ لا وجود لدليل على أنهما أقسما له أيضا، وللمفسرين في توجيه معنى المفاعلة آراء:

١-معناها المبالغة والإغلاظ في القسم والإصرار على صدق النصيحة لحين تصديق آدم به والأكل(٣٦).

٢- معنى المقابلة كما يقال عاقبت اللص وعافاه الله ومثله قاسمته؛ لأن جميع هذه فيها معنى المقابلة كأنه قابل السرقة بالجزاء والمرض بالسلامة والقسم بالمنازعة(٣٧)، وكأن الكلام كان على أنه" قال: أقسم لكما إني لكما لمن الناصحين، وقالا له أتقسم بالله إنك لمن الناصحين؟ فجعل ذلك مقاسمة بينهم"(٣٨).

٣-معنى المفاعلة الأصلي وهو الاشتراك في القسم ذلك أنه" أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها"(٣٩).

والتوكيد بالقسم يتبعه توكيد بالأدوات باستعماله للخبر الإنكاري زيادة منه في الإقناع والتصديق للأخذ بما أسماه نصيحة. وحتى اختيار المفردة -مفردة النصيحة-كان إبليس ماكرا بها؛ إذ بين له أن لا مصلحة له في دفعه للأكل من الشجرة فهو مجرد ناصح له بالخير لا أكثر.

رابعاً : الوسوسة إليه:

هذا التعبير ورد في سورة طه قال تعالى﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾(٤٠)، ومعنى (الوسوسة إليه): " ألقى إلى قلبه المعنى بصوت خفي"(٤١)،فـ"أنهى إليه الوسوسة"(٤٢).

ويلحظ في الآية خلوها من حرف العطف بعد فعل الوسوسة ودخوله في سورة الأعراف كما بينا آنفا، ولعدم وجود هذا الحرف دلالات ذلك أن الوسوسة إليه هي نفسها قوله: هل أدلك إذ هي بدل منه أو على تقدير سائل سأل: ما وسوسته؟ لذلك وجب الفصل" فجملة قال يا آدم قد بنيت على الجملة الأولى فوسوس إليه الشيطان، ففي هذه الجملة خفاء وإيهام تتطلع النفس إلى إيضاحه وبيانه وقد جاءت الجملة الثانية موضحة ومبينة لذلك فهي مرتبطة ارتباط عطف البيان بالمعطوف وهذا يمنع الوصل"(٤٣).

والاستفهام في (هل أدلك) "استفهام مستعمل في العرض وهو انسب المعاني المجازية للاستفهام لقربه منه حقيقة"(٤٤)، والمعروض يتبعه في الآية وهو أن يدله على شجرة الخلد والملك الأبدي، و" هل أشد قوة في الاستفهام من الهمزة وقد ترمز إلى أن السائل يتوقع الجواب بـ (لا) لذلك قد تقع بعدها (من) الخاصة بالسلب مثاله من القرآن(هل من مزيد) فكأن معناها ما من مزيد فتقارب (nun) في اللاتينية التي لا يستفهم بها إلا إذا توقع السائل النفي"(٤٥)، فكان إبليس متوقعا أن يكون رد آدم بالنفي لذا استعمل معه كل طرق التوكيد من (قسم) و(إنّ) ليغير قراره.

وجمع هنا بينهما بحرف العطف الواو وفي سورة الأعراف استعمل أو التي للتخيير والترديد بين شيئين، ويقول صاحب الميزان" لا منافاة بين جمع خلود الحياة ودوام الملك ههنا بواو الجمع وبين الترديد بينهما في الأعراف لإمكان أن يكون الترديد هناك لمنع الخلو لا لمنع الجمع، أو يكون الجمع ههنا باعتبار الاتصاف بها جميعا والترديد هناك باعتبار تعلق النهي كأنه قيل: إن في هذه الشجرة صفتين وإنما نهاكما ربكما عنها إما لهذه أو لهذه وإنما نهاكما ربكما عنها أن لا تخلدا في الجنة مع ملك خالد أو أن تخلدا بناء على أن الملك الخالد يستلزم حياة خالدة"(٤٦)، على أن هناك من قال إن (أو) في الأعراف لا للتخيير بل بمعنى الواو، أي: الجمع بينهما.

ويلحظ أيضا أن إبليس رغّب آدم بمثل ما رغّبه رب العالمين من الراحة الدائمة وانتظام المعيشة في قوله ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾(٤٧)، مستعملا المعاني

نفسها فيما طمّع به آدم شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى " فكان الشيء الذي رغّب الله آدم فيه هو الذي رغّب إبليس فيه إلّا أنّ الله تعالى وقف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة وإبليس وقف على الإقدام عليها"(٤٨)

وبقيت في هذه الآيات مسألة واحدة هي مسألة الاسبقية، أي: أي خطاب لإبليس كان أسبق من الآخر وفي هذا رأي لصاحب التحرير والتنوير يقول فيه: إن خطاب الوسوسة إليه أسبق من الوسوسة له ودليله عدم وجود حرف عطف في الآية فذلك حكاية لبداية الوسوسة وكانت بالإجمال فلم يعين لآدم الشجرة المنهي عن الأكل منها ليستدرجه للوقوع في شباكه ويستزل قدمه ثم يأخذ في تأويل خطاب النهي عن الأكل في الأعراف فقد عين فيه الشجرة فأشار إليها بعد أن صارت معرفة لهما(٤٩) .

الخاتمة:

على الرغم من قصر هذا الخطاب، لكنه متسلسل من ناحية ترتيب الأفكار، وناجع جدا من ناحية النتائج؛ فلحظنا أنه بجمل لا تتعدى أصابع اليدين استطاع أن يُخرج نبياً مما كان فيه، ويجعله ينصاع له مجبراً، بوساطة السبك والحبك في التراكيب المستعملة، إذ نراه استفهم بـ (هل) المتوقع جوابها بالنفي، وأقسم بالأيمان المغلظة، ويعد ابليس أول من استعمل القسم في سياق الإضلال، وكانت نتيجته حتمية؛ إذ لم يكن آدم قد سمع أحداً أقسم بالله وكذب. فأقسم له أنه من الناصحين له، وأكد خطابه بالخبر الإنكاري مع استعماله مفردة النصيحة، التي تدل على حسن نيّة منه، على الرغم من تحذيره تعالى لنبيه من الأكل منها.

هوامش البحث

(١) البقرة: ٣٦.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي(٤٦٠هـ): ١\ ١٠٦.

(٣) ينظر: التبيان: ١\١٠٦ ،مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي(٥٤٦هـ):١\ ١٧٠،مفاتيح الغيب، الفخر الرازي(٦٠٤هـ):٣\٧.

(٤) ينظر: مجمع البيان: ١\ ١٧٠.

(٥) مجمع البيان: ١\١٧٠.

(٦) روح معاني المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الآلوسي (١٢٧٠هـ): ١\٢٣٦-٢٣٧.
(٧) ينظر: مجمع البيان: ١\١٧١، روح المعاني: ١\ ٢٣٧، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم شيرازي، هامش رقم(٢): ١\١٢٥.
(٨) الأمثل: ١\١٢٥.
(٩) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣\٧، روح المعاني: ١\٢٣٦.
(١٠) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١\٤١٩.
(١١) نفسه.
(١٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١\٤١٩.
(١٣) البقرة: ٣٥.
(١٤) الأمثل: ١\١٢٥.
(١٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣\٧، روح المعاني: ١\٢٣٦.
(١٦) التحرير والتنوير: ١\٤١٩.
(١٧) الأعراف: ٢٠.
(١٨) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري(٥٣٨هـ): ٢\٩٠، و٣\٩١، مفاتيح الغيب: ١٤\٤٩، التحرير والتنوير: ١٦\١٩٥.
(١٩) ينظر: التبيان: ٦\٣٥٠، مجمع البيان: ٤\٢٣١.
(٢٠) مفاتيح الغيب: ١٤\٤٩، وينظر: روح المعاني: ١\٢٣٩.
(٢١) ينظر: نفسه.
(٢٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٨\٤٥.
(٢٣) مفاتيح الغيب: ١٤\٥٠.
(٢٤) التبيان: ٦\٣٥٠.
(٢٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٨\٤٦.
(٢٦) مجمع البيان: ٤\٢٣٢.
(٢٧) التبيان: ٦\٣٥٠.
(٢٨) مجمع البيان: ٤\٢٠٥.
(٢٩) التحرير والتنوير: ٨\٤٦.
(٣٠) مجمع البيان: ٤\٢٣٢.

(٣١) التبيان: ٣٦٩\٤.
(٣٢) التحرير والتنوير: ٤٦\٨.
(٣٣) مفاتيح الغيب: ٤٦\٨ .
(٣٤) طه: ١١٥.
(٣٥) الأعراف: ٢١.
(٣٦) ينظر: مجمع البيان: ٢٣٢\٤، روح المعاني: ٢٤٠\٤، الميزان في تفسير القرآن: ٣٦\٨، الأمثل: ٤٠٨\٤.
(٣٧) ينظر: التبيان ٣٥١\٦، من وحي القرآن ١٠\ ٥٢.
(٣٨) الكشاف: ٩١\٢، مفاتيح الغيب: ٥٢\١٤.
(٣٩) نفسه.
(٤٠) طه: ١٢٠.
(٤١) مجمع البيان: ٢٣١\٤، وينظر: التبيان: ٣٥٠\٦، الكشاف ٩١\٢، مفاتيح الغيب: ٤٩\١٤و ١٢٦\٢٢، التحرير والتنوير: ١٩٥\١٦.
(٤٢) الكشاف: ٩١\٣.
(٤٣) من بلاغة النظم القرآني دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في الذكر الحكيم: ٢١٤.
(٤٤) التحرير والتنوير: ١٩٥\٨.
(٤٥) التطور النحوي، برجشتراسر:١٦٦.
(٤٦) الميزان ٢٢١\١٤.
(٤٧) طه: ١١٧-١١٩.
(٤٨) مفاتيح الغيب ١٢٦\٢٢.
(٤٩) ينظر: التحرير والتنوير ٤٥\٨و٤٦.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- القرآن الكريم.

ثانيا- الكتب المطبوعة:

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. الشيخ ناصر مكارم شيرازي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٣ – ٢٠٠٢م.

- التبيان في تفسير القرآن. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ). تح: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٦.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ ، بيروت، (د. ت).
- التطور النحوي للغة العربية. برجشستراسر. أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٣ه-٢٠٠٣م.
- روح معاني المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي (١٢٧٠هـ). ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية. ط٢. دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ -٢٠٠٥م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ابو القاسم جار الله محمود بن محمد الزمخشري (ت٥٣٨ه). وبحواشيه أربعة كتب. تح: محمد عبد السلام شاهين. ط٢. دار الكتب العلمية، ١٤٢٤- ٢٠٠٣م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن. أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٦هـ)، تح: لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين. تقديم: السيد محسن الأمين العاملي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين محمد (ت٦٠٤هـ). ط٣. دار الفكر، ١٤٠٥ه.
- من بلاغة النظم القرآني دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان و البديع في الذكر الحكيم. بسيوني عبد الفتاح. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٣١ه-٢٠١٠م.
- الميزان في تفسير القرآن. السيد محمد حسين الطباطبائي. صححه وأشرف على طبعته الشيخ حسين الأعلمي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.